كلمة في الشعر

A propos d'un diwân récent.

اخذ الاستاذ الشاعر العصري جميل صدقي الزهاوي في طبع « اللباب » وهو مختار اشعاره . وقد طلبنا اليه ان يذكر لنا ما يرتئيه في الشعر بعد ان قرضه سنين مديدة وقد علمه الاختبار ما لا يعلمه غيره ، كما طلبنا اليه ان يبين لنا ما يريد ان يدونه في ديوانه الجديد ، فكتب الينا هذه السطور التي تخلد له الذكر الطيب وتبين للقوم مزايا الشعر العربي الصميم العصري الحقيقي . (لغة العرب)

ما اكثر خلاف المتأدبين في الشعر وفي الجيد منه ! ولكل احد ذراع يقيسه بها ، فان وافقها عده حسنا ، وان خالفها ظنه سيئا ! ولما كان مستوى الاكثرين عندنا في الادب منحطا ، لم يرضوا الا ما وافق مقاييسهم من الامثال الرجعية وهناك من لا يعجبه من الشعر ، إلا ما كان في الفاظه واسلوبه تقليد الشعراء الجاهلية ، أو صدر الاسلام ، وإن كانت معانيه سخيفة لا صلة لها بالشعور العصري . ومن لا يرضيه إلا ما كان في معانيه تقليد لشعراء الغرب ، وإن كانت الفاظه سقيمة وتراكيبه ركيكة وبين اولئك وهؤلاء نفر قليل عددهم ، قوي حجتهم ، فضلوا ما جمع الى حسن الالفاظ ، ومتانة التركيب ، شعورا عصريا يوائم ثقافة هذا العصر وابنائه المؤمنين بتطوره ، وهؤلاء هم في الحقيقة المجددون .

اما التقليد فهو ذميم ، سواء كان تقليدا لشعراء العرب الاقدمين ، أو لشعراء الغرب المحدثين ، فان لكل امة شعورا لا يتفق في الغالب وشعور امة اخرى ، قد فرقت بينهما سنة الوراثة في اجيال بعد اجيال ، كما ان الموسيقى عندهما لا تتفق .

والجديد من الشعر هو ما كان مشبعا بالشعور العصري ، وكان لذلك الشعور تأثير في شعور الاخرين ، يهيجه فيهم كأنه الكهرباء ، وكانت الفاظه بمثابة الاسلاك الموصلة لذلك الكهرباء ، مستوفية لجمال اللغة ، وموسيقى الوزن ، سواء كانت من اوزان الخليل أو غيرها . ولما كان التقليد تكرارا لشعور هو لغير صاحبه ،

وكانت المبالغة ضربا من الكذب لا صلة لها بالشعور ، كانا وخيمين لايهضمهما العصر الحاضر .

واحسن الشعر في نظري ما استند الى الحقائق اكثر من العواطف والخيال البعيدين عنها ، فكانت حصة العقل فيه اكثر من حصتهما . وفي الشعر القديم ، ولا سيما شعر العواطف منه كثير من الجيد الخالد ولكن تقليده اليوم غير جيد ، فهو صدى لصوت قد تقدم فلا خير فيه . والفرق بين الشعورين القديم والجديد : « ان الاول ضيق ، لضيق معارف اصحابه ؛ والثاني متسع لسعة معارف اهله، ومن هنا تعرف ان ما يطلب من الشاعر العصري اكثر مما يطلب من المتقدمين وان ما يرفع هذا غير ما يرفع ذاك ، وان كان كل منهما صادقا في شعوره .

وللشاعر ان يجمع في بعض قصيده اكثر من مطلب ، بشرط ان يكون بين مطالبها صلة تربط حلقاتها المتعددة ، واحسب ان هذا اقرب الى طبيعة التفكير أو الاحساس ، فانهما لا يأتيان إلا في صورة امواج ، هي فورات النفس وثوراته ، يستقل كل منها عن الاخرى ، وتكون القصيدة حينئذ اشبه بباقة من مختلف الازهار مع تناسق في الوانها .

وقد يختلف ما يشعر به شاعر عما يشعر به آخرون في موضوع واحد ، فتقوم عليه قيامة هؤلاء ينقدونه ، امين اياه بالسفه في الرأي لا لشيء غير انه شعر بما لم يشعروا به أو نظم في طريقة لم يألفوها ، وهو بالاكبار اولى لانه مبتكر اتى بما هو جديد . وهكذا كل مجدد هو غرض لسهام مخالفيه ، أو حاسديه وقد يسليه علمه ان العاقبة له .

ولقد نشر لي ببيروت في اول سنة الدستور العثماني ، ديوان باسم « الكلم المنظوم » . ونشرت لي في مصر سنة ١٩٢٤ طائفة من الشعر غير قليلة باسم « ديوان الزهاوي » وهذه مقسومة الى اقسام جمعت الى الجيد من الشعر مالم استحسنه بعد المراجعة . وطبعت لي ببيروت في السنة نفسها ، رباعيات باسم « رباعيات الزهاوي » طبعا سقيما كثرت فيه الاغلاط فاحببت ان اختار من الدواوين الثلاثة ومن « الثمالة » — هي ديوان رابع لي لم يطبع بعد . وقد نظمت

قصائدها بعد طبع الديوان بمصر — أعلق ما فيها بي من غيرها ان لم يكن احسنه واشهره في ديوان واحد باسم « اللباب » ، فاعرض به على الانظار مايمثل شعوري الذي قد يناقي شعور غيري فتقرأ هذه الانظار فيه شخصيتي وان ضؤلت وقد فعلت، فان احسنت فلنفسي وان أسأت فعليها .

وقد كثر اللغط في مصر وسورية والعراق حولي، فمن قائل انه لا فيلسوف ولا شاعر ، بل هو عالم يحكم العقل والمنطق فيما يكتبه . او ينظمه ؛ وقائل انه شاعر لا فيلسوف ؛ وقائل انه فيلسوف لا شاعر ؛ وعجب يقول انه فيلسوف وعالم وشاعر معا ؛ وحاقد يقسم باحرج الايمان انه لا عالم ولا فيلسوف ولا شاعر . ومن الذين عدوني شاعرا من ينهب الى اني متطرف في التجديد ، ومنهم من يرى اني مقلد للرث البالي من القديم . اما انا فلا ادعي اني شيء مما اختلفوا فيه . وانما لي آراء في الكون والحياة والاجتماع ، قد اذعتها وكلم موزونة هي في الغالب من بنات شعوري قد نشرتها وللناس ان لا يعدوا تلك الآراء من العلم أو الفلسفة ، وتلك الكلم من الشعر ، أو لا يعدوا ذلك الشعر من الجديد . فانا لم اقل شعري إلا لنفسي . فحسب شعري ان ترضى عنه نفسي ونفسي راضية عنه ، فلا يهمني بعد ذلك ان يرضى عنه من لا صلة بين شعوره وشعوري :

لقد اظهرت مقتا لها عند نقدها ... لشعري ناس كان يمقتها شعري
ولست أبالي بالذين يرونه ... بعيدا عن المألوف من صور الفكر
وما كنت في شعري لغيري مقلدا ... وما ابعد التقليد عن شاعر حر !
تصوره عقلي وابرز لونه ... خيالي الى حد وجاش به صدري .

ولست ادعي ان كل ما جمعته من الشعر في هذا الديوان جديد ، بل اني سائر فيه الى التجديد ، وقد مشيت فيه شوطا وهو ما يعترف به المنصف وينكره الحاقد . ورتبته على خمسة اقسام بحسب ازمانه : الاول ما قلت اكثره بعد سفري الاول الى عاصمة الدولة العثمانية سنة ١٨٩٦ . والثاني ما قلته بعد الدستور العثماني . والثالث ما قلته بعد الاحتلال . ومن هذا القسم رباعياتي التي نشرت في بيروت . والرابع ما قلته بعد سفري الى سنة ١٩٢٤ . والخامس

ما قلت اكثره بعد عودتي الى بغداد .

ولما كانت غايتي من هـذا الديوان جمع ما وقع عليه اختياري من قصيدي وقد اسقطت كثيرا مما يربط البيت باخيه لم يبق في اكثرها الاطراد المطلوب ففصلت بين قسم وآخر من القصيدة بخط تنبيها على ان هناك ابياتا قد حذفتها . وعسى ان لايلتبس مثل هذا بالفواصل الطبيعية منها .

بغداد : في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ جميل صدقي الزهاوي

ساعة في سدة الهندية

Une heure au Barrage de Hindyeh.

استدعت الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٩ م المهندس الانكليزي المعروف بالسير وليم ويلكوكس لاقامة سد محكم على الفرات بالقرب من قصبة المسيب ليمنع المياه الوفيرة من الانحدار نحو الجنوب من دون ان تستفيد منها مزارع الفرات الاوسط فائدة تذكر . ويكون « الناظم » هو الحكم في توزيع المياه على المزارع والمدن القائمة على ضفتيه توزيعا عادلا يدر على الزارع والفلاح افضل الخيرات والبركات .

وقد اضطرت الحكومة البائدة الى استدعاء المهندس المشار اليه للقيام بهذا العمل الخطير على اثر انهيار السد الذي اقامه في عرض النهر المذكور المهندس الافرنسي المسيو شندرفر عام ١٨٨٥ م ، عندما بدأ الفرات يتحول عن مجراه الطبيعي فيتدفق بغزارة في شط الهندية من دون ان يأخذ جدول الحلة منه قسطه الوافر . والذي يطلع على خارطة العراق وانهاره ، ويلم بمواقع قدنه ومزارعه يدرك — بلا ريب — حاجة المزارع الواقعة على نهر الحلة الى مياه غزيرة دائمة حتى لايعروه القحط فيستحوذ على سكانه كما استحوذ عليهم عام ١٨٧٨ م . فلهذا السبب مست الحاجة الى وضع « ناظم » لماء الفرات واصبح ذلك الشغل